

برنامج أنوار كاشفة

أقوال المسيح

الحلقة السادسة عشرة

نرحب بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

ماذا يكون موقفك مستمعي عندما يعرض عليك أحدهم بضاعة ما ويسعّر مغرٍ؟ ألا ترغب في شرائها وبسرعة لكيلا تفوت الفرصة منك؟ وبنفس المقدار عندما يقدم لك أحدهم رسالة هامة تتعلق بأمر ضروري ألا ترغب أن تغتتم الفرصة وتعمل بها بالرغم من مشاغلك الكثيرة؟ وفي بعض الأحيان قد يتطلب منك الأمر أن تُضحّي ببعض الأمور المحببة لديك، أو بعض الأعمال التي كان يجب عليك القيام بها، لكي تتفدّ ما تطلبه منك هذه الرسالة. لكن إذا كانت هذه الرسالة الهامة تتعلق بحياتك ومصيرها، فماذا سيكون موقفك عندها؟

تقدّم مرّة أحد الكتبة - أي من الذين كانوا يكتبون العهد القديم - إلى المخلص المسيح: «وَقَالَ لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ، أَتَبَعُكَ أَيُّنَمَا تَمْضِي». فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «لِلثَّعَالِبِ أُوجِرَةٌ وَلِطُيُورِ السَّمَاءِ أُوكَارٌ، وَأَمَّا ابْنُ الْإِنْسَانِ فَلَيْسَ لَهُ أَيْنَ يُسْنَدُ رَأْسَهُ». «وَقَالَ لَهُ آخَرٌ مِنْ تَلَامِيذِهِ: «يَا سَيِّدُ، انْذَنْ لِي أَنْ أَمْضِيَ أَوَّلًا وَأَذْفِنَ أَبِي». فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «اتَّبِعْنِي، وَدَعِ الْمَوْتَى يَدْفِنُونَ مَوْتَاهُمْ». (بشارة متى ٨: ١٨-٢٢).

نجد هنا نوعين من البشر: أحدهما أراد اتباع المسيح دون أن يحسب النفقة، وآخر وضع شرطاً بدا له أنه معقول لاتباعه. فقد طلب الأول أن يتبع المسيح إلى أي مكان. لكن المسيح أوضح له أن اتباعه يعني التضحية بأمر كثيرة محببة لديه. لا سيما أن المسيح نفسه ليس لديه مكان ليبيت فيه. أما الثاني فقد كانت لديه واجبات وأعمال هامة عليه أن ينجزها قبل اتباعه للمسيح، لكن المسيح أكد له ضرورة اتباعه قبل أي شيء آخر.

مستمعي الكريم، ماذا يعني في لغة اليوم قول المسيح للرجل الأول الذي طلب أن يتبعه: «لِلثَّعَالِبِ أُوجِرَةٌ وَلِطُيُورِ السَّمَاءِ أُوكَارٌ، وَأَمَّا ابْنُ الْإِنْسَانِ فَلَيْسَ لَهُ أَيْنَ يُسْنَدُ رَأْسَهُ». إنه يعني أن أتباع المسيح الحقيقي يشير إلى الإهانة في المجتمع والاضطهاد وعدم

الراحة، لا بل أحياناً الخسارة الماديّة. واتباع المسيح يعني أيضاً التوبة عن الخطيئة، والتضحية بأمر محببة لدينا. ولا أحد ينكر أن الخطيئة بإغراءاتها الكثيرة، قد لا تكون محببة لدينا فحسب، بل ومن الصعب علينا التخلّي عنها بقوتنا. ولهذا على الذي يريد أن يتبع المسيح أن يطلب من الله مساعدته لكي يتوب، ويُضحّي بمسرّاته العديدة.

ومن الجهة الأخرى فقد كان لافتاً جواب المسيح للرجل الثاني الذي استأذنه طالباً أولاً دفن والده، إذ قال له: «اتَّبِعْنِي، وَدَعِ الْمَوْتَى يَدْفِنُونَ مَوْتَاهُمْ». من المعروف أن واجب دفن الموتى لاسيما لذوي القُربى هو واجب اجتماعي هام. فماذا قصد المسيح بهذا الجواب؟ لم يطلب المسيح من هذا التلميذ أن يتخلّى عن واجبه الاجتماعي، لكنه أراد أن يلفت انتباهه وانتباهنا إلى أهمية اتباعه قبل أي شيء آخر، حتى ولو كان واجباً اجتماعياً. أي أن اتباعه يجب أن يكون الأول في حياتنا، رغم مشاغلنا وأعمالنا وواجباتنا الاجتماعية الهامة الكثيرة.

ولنلاحظ قول المسيح له: «اتَّبِعْنِي، وَدَعِ الْمَوْتَى يَدْفِنُونَ مَوْتَاهُمْ». فماذا قصد المسيح بالموتى الذين يدفنون موتاهم؟ إن الموتى هنا هم الأموات بالذنوب والخطايا، أي الناس الذين لم يتوبوا بعد عن خطاياهم، ولم يجعلوا المسيح الأول في حياتهم، فهم ما زالوا أمواتاً بالخطيئة، ويستطيعون بالتالي دفن موتاهم. أما الذي يريد أن يتبع المسيح فعليه أن يجعل اتباع المسيح هو الهدف الأول والأهم في حياته. وبعدها يستطيع أن يقوم بالأعمال والواجبات الأخرى الكثيرة، تجاه نفسه وعائلته ومجتمعه. هذا بالضبط ما أراد المسيح أن يوضحه لهذا التلميذ ولنا جميعاً.

صديقي المستمع، إن الدعوة لاتباع المسيح هي الرسالة الهامة التي تصلك في هذا اليوم. وهي رسالة هامة لأنها تتعلق بحياتك ومصيرها، ومفرحة لأنها تتضمن رسالة الخلاص الأبدي. والقبول بها لا يكلفك شيئاً إذ تُقدّم لك مجاناً أي بدون أي مقابل. فهل هناك من دعوة أو رسالة أهم من هذه الدعوة؟ أو لا تستحق منك أن تضحي من أجل الحصول عليها بكل الأمور المحببة لديك؟ أو لا يجب أن تكون هي الأمر الأول في حياتك؟ قد تضحي من أجل الحصول على أمور أخرى كثيرة، أفلا تستحق منك هذه الدعوة التضحية؟ وأن تكون الأولى في حياتك؟

قد يتساءل البعض: ما هي الفائدة من اتباع المسيح؟ إذا كانت تتضمن أيضاً الإهانة في المجتمع والاضطهاد والخسارة المادية؟ وللجواب نقول: لأنها تعني قبول أعظم عطية يقدّمها لك الله، ألا وهي عطية الخلاص الأبدي والغفران الكامل، وأن تصبح من أولاد

الله. أجل، لقد أعلن الله خلاصه للبشر جميعاً، عندما أرسل المخلص المسيح لكي يموت على الصليب، آخذاً عقاب خطايانا، وواهباً لنا الغفران، والحياة الروحية الجديدة والخلود. فهل هناك أعظم من هذه العطية أن تتأكد من نوالك الغفران والحياة الأبدية؟ وأنتك أصبحت من أولاد الله؟

شبه مرة المخلص المسيح ملكوت الله «بإنسان تاجر يطلب لآلئ حسنة، فلما وجد لؤلؤة واحدة كثيرة الثمن، مضى وباع كل ما كان له واشتراها» (بشارة متى ١٣: ٤٥). وها هي الدعوة توجه إليك اليوم مستمعي لكي تحصل على لؤلؤة الخلاص هذه كثيرة الثمن. ألا تضحي بكل شيء من أجلها؟ مطلوب منك مستمعي فقط هو التوبة الحقيقية عن خطاياك، وعن مسرات الجسد. وأن تأتي إلى الله مؤمناً بالمخلص المسيح وعمله الكفاري من أجلك على الصليب. وأن يغدو اتباع المسيح هو هدفك الأول في الحياة. وعندها تنال الغفران الكامل عن ذنوبك والحياة الأبدية. فهل تراك تتجاوب مع هذه الدعوة الهامة؟